

الحواضر الصوفية بمنطقة الأغواط خلال القرن 18م- عين ماضي أنموذجا-

Sufi cities in the Laghouat region during the 18th century AD-Ain Madi as an example

أولاد بوجمعة نور الدين*
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس(الجزائر)
ouladboudjma@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/06 تاريخ القبول: 2024/11/09

● الملخص:

شكل القرن السادس عشر منعطفًا حاسمًا في تاريخ بلاد المغرب الحديث، فبعد انتصاب الحكم العثماني بالجزائر عرفت ظاهرة التصوف تناميا واهتماما خاصا من طرف السلطات، تُرجم ذلك على أرض الواقع في ازدياد الطرق الصوفية ومريديها، والتصوف من الظواهر البارزة التي طبعت الحياة الاجتماعية بالجزائر أثناء الحكم العثماني، حيث برزت عدة مدن وحواضر احتضنته مشكلة بذلك محطات مهمة للتواصل الحضاري والفكري، ولم تحظ الحواضر الصحراوية الجزائرية خلال العهد العثماني بالدراسة والعناية اللازمة، حيث جاءت دراستنا لهذا الموضوع لإمطة اللثام عن حاضرة عين ماضي والدور الفعال الذي لعبته، فقد كان حضورها الروحي والاجتماعي وحتى السياسي متعلقا بجهود أبنائها وعلمائها الذين اتسموا بالفعالية والتأثير، ما جعلها تنصدر المشهد بمنطقة جبال العمور عامة والأغواط خاصة.

كلمات مفتاحية: التصوف، عين ماضي، السلطة العثمانية، أحمد التجاني، الزوايا.

Summary:

The sixteenth century is a decisive turning point in the modern Maghreb history. After the Ottoman rule in Algeria, the phenomenon of Sufism developed and gained a special interest from the authorities. This interest is clear in the spread of Sufism. This latter is show in the Algerian social life during the Ottoman era. Several cities and metropolitan areas have emerged as important station of civilization communication And intellectual, the Algerian desert metropolitan areas did not receive enough learning and car during the Ottoman era, as our study of this topic cam to uncover the city of Ain Madi and the effective role it had played, as its spiritual, social and even political presence was related to the efforts of its inhabitants and sciences who were effective and influential, which made it the top of the scene In the Jebel Amour region in general and Laghouat in particular.

Key words: Sufism, Ain Madi, the Ottoman Authority, Ahmed AL-Tidjani, Al-Zawya.

● مقدمة:

عرفت الجزائر - كباقي الدول العربية والإسلامية - انتشارا واسعا للتصوف والطرق الصوفية خاصة خلال الفترة العثمانية، وإن مسألة التصوف تحتل مكانة هامة في المجتمع، لما تُمثله من عطاء حضاري يرتبط بالأفكار والممارسات، فقد ظهرت عدة مدن وحواضر كانت حاضنة للتصوف بشكل أو بآخر، على غرار عين ماضي التي أصبحت أهم الحواضر الروحية بمنطقة جبال العمور خلال العهد العثماني والمركز الرئيسي لأبرز الطرق الصوفية الجزائرية المنشأ، كما شكلت نقطة انطلاق الخطاب الصوفي التجاني نحو مناطق أخرى، وتزامن ذلك مع مرحلة الفتور بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية بالجزائر ما أثر على علاقاتها مع بايات السلطة العثمانية، هذا ما حاولنا التطرق إليه في هذه الورقة البحثية، عن طريق طرح التساؤلات التالية:

- ما هي العوامل التي جعلت من عين ماضي إحدى أهم الحواضر الصوفية؟ وما مُختلف أدوارها؟
 - وإلى أي مدى ساهمت حاضرة عين ماضي في تفعيل الحركة الصوفية بمنطقة جبال العمور؟ وكيف تعاملت السلطة العثمانية معها؟
- وتم تقسيم الموضوع إلى ثلاثة عناصر؛ الأول تناولنا فيه أوضاع منطقة الأغواط أثناء القرن الثامن عشر، والثاني تطرقنا فيه إلى العوامل التي جعلت من عين ماضي حاضرة صوفية، والعنصر الثالث عرجنا فيه للحديث عن علاقة عين ماضي بالسلطة العثمانية، وأشرنا فيه إلى الحملات العسكرية التي تعرضت لها المدينة من طرف العثمانيين، وخُتمت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات.

1. منطقة الأغواط خلال القرن 18م:

1.1. الأغواط؛ المجال الجغرافي والعنصر البشري:

أ. الموقع: تقع الأغواط جنوب الجزائر العاصمة، تبعد حوالي 400 كم، تقع جنوب الأطلس الصحراوي على الجهة اليمنى لوادي مزي، الذي يأخذ مجراه من جبال العمور غربا ويتوجه نحو الشرق، ترتفع الأغواط بحوالي 787 متر على مستوى سطح البحر، وهي بوابة الصحراء، وتمثل نقطة عبور القوافل التجارية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، أما موقعها الفلكي فهي تقع بين دائرة عرض 33° شمالا، وعلى خط طول 3° شرقا، وتشتهر الأغواط ببساتينها، حيث يقطع المدينة وادي الخير المتفرع عن وادي مزي الذي يساهم في سقي مختلف المزروعات¹، ذكرها الأغواط في رحلته قائلا: «إن الأغواط بلدة كبيرة، وهي محاطة بسور وحولها تحصينات ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد ولغة سكانها هي العربية، وهم يرتدون الملابس الصوفية، ولا تخرج فيها النساء المحترقات من بيوتهن أبدا، ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع، وليس في هذه البلدة حمامات، وهي تنتج الفواكه بكثرة من بينها التمر، التين والعنب، والسفرجل والرمان، ويقسم وادي مزي الأغواط إلى شطرين»².

¹ - محمود علالي - الحركة الإصلاحية في الأغواط 1916-1958 - دار اللواء - الجزائر - 2013 - ص 30.

² - الحاج ابن الدين الأغواط - رحلة الأغواط - مجموع رحلات - تحق: أبو القاسم سعد الله - دار المعرفة الدولية - الجزائر - 2011 - ص 87.

ب. السكان: تشتهر الأغواط بمجموعة من القصور أهمها: (العسافية، قصر الحيران، الحويطة، تاجموت، عين ماضي)، وأعراسها تتمثل في قبيلة الأرباع الكبرى التي تتكون من أربع بطون وهي: (المعامرة، الحجاج، أولاد صالح، أولاد زايد)، وتنتشر هذه القبيلة بين الجلفة في الشمال وبسكرة في الشرق وغرداية في الجنوب وآفلو في الغرب، وكذلك عرش أولاد سيدي عطاء الله وقبيلة الحرازية المشهورتين بالأغواط، إضافة إلى قبائل أخرى جاءت إلى المنطقة عبر مختلف الأزمنة مثل: قبيلة بني هلال وأولاد زيان¹. وفي بداية القرن الثامن عشر ميلادي كان يستقر بالمدينة وفي جهتها الشرقية أولاد الأحلاف، المتكونين من الخارقة هؤلاء أصلهم من فرجيوة بقسنطينة، وأولاد سالم القادمين من قورارة، وأولاد بوزيان الذين ينتمون إلى فرع الحجاج، أما الجهة الغربية فكان يقطنها أولاد سرغين (جماني، البدارة) المنحدرين من الأغواط وأولاد سكحال وأصلهم من أولاد زيد البسكريين وفليجا الذين جاؤوا من الجنوب التونسي، وهذا التوزيع الاجتماعي في المدينة أفرز صراعا بين أولاد الأحلاف وأولاد سرغين، حول مناطق الكلاء والماء². وبهذا فقد ضمت الأغواط خمسة قصور، كانت بها العديد من الأعراس والقبائل التي جاءت من مناطق مختلفة، واستقرت بالمنطقة لأغراض مختلفة.

2.1 الأغواط خلال الحكم العثماني:

بعد تشكل ملامح المدينة بالأغواط، وبحكم موقعا الجغرافي، فقد كانت دائمة التأثر بما يحدث سواء في الشمال أو الهضاب العليا، حيث مارس سكانها العصيان والتصدي، فقد تنازع العثمانيون مع ملوك المغرب الأقصى على الأغواط³، ففي عهد البايبراي خير الدين بربروس وخلال القرن السادس عشر امتدت سلطة الإيالة الجزائرية حتى الأغواط التي كانت تابعة لبليك التيطري الذي نظمته حسن باشا ابن خير الدين، وفي عهد يوسف باشا (1647-1650م) قام السلطان المغربي مولاي محمد بالسيطرة على تلمسان ووجدة وحتى الأغواط وجاء بعده السلطان المغربي مولاي عبد المالك بنفسه سنة 1708م وأخضع المدينة بعد قتال مرير، وخلال سنة 1727م عادت الأغواط إلى سلطة العثمانيين بعد تدخل جيوش باي المدية شعبان زناغي الذي فرض على المدينة ضريبة سنوية قدرت بـ: 700 ريال، كان ذلك حتى سنة 1784م حيث هُزم الباي مصطفى باي المدية أمام أسوار مدينة الأغواط⁴، كما أن مدينة الأغواط استهدفها الصالح باي في حملته على أولاد عمور بعد أن جاهروا بالعداء لسلطة الدايات في الجزائر، وأخضع كذلك زينة وآفلو وتاجموت⁵، كما أن سكان الأغواط تعرضوا إلى حملات أخرى سيأتي ذكرها لاحقا في هذه الدراسة.

2.2 عين ماضي الحاضرة الصوفية:

1.2 لمحة تاريخية عن عين ماضي:

تقع عين ماضي غربي مدينة الأغواط، تبعد عنها حوالي 70 كم، يحدها من الشمال الشرقي تاجموت، ومن الشمال الغيشة وبلدية وادي مزي، أما من الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الشرق الحويطة، وهي من أهم قصور الأغواط، ذكرها الأغواطي في رحلته بقوله: «إن

¹ - علاي - المرجع السابق - ص 31.

² - المرجع نفسه - ص 35.

³ - ابن حرز الله شارف - دور منطقة الأغواط في الثورة التحريرية 1954-1962 - رسالة ماجستير - جامعة الجزائر - 2003-2004 - ص 15.

⁴ - علاي - المرجع السابق - ص 36-37.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني - وراثة جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني - ط 1 - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 2000 - ص 289.

هذه البلدة تقع غربي تاجموت وهي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الذي يسمى ولد التجيني حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود، ومنذ سنتين فقط أي سنة 1243هـ جمع أخوه جيشاً بهدف الزحف على وهران¹، سميت بعين ماضي نسبة إلى ماضي بن يقرب، الذي اختطها خلال عهد الدولة العبيدية بداية من القرن العاشر ميلادي، وكانت في شكل حصن يحتوي على ثلاثمائة دار تتميز بالحصانة وحوله النخيل والأشجار المتنوعة²، سكنها الشريف الإدريسي الذي قدم من تافيلالت وهو الجد الرابع للشيخ أحمد التجاني، وقد تعاشر مع قبيلة بني توجين وتزوج امرأة من آل سيدي مولى العالية تسمى مباركة بنت عيسى³، وكانت عين ماضي عرضة لخطر؛ تهديد القبائل المجاورة لها، التي كانت تستولي على ماشيتها، والخطر الثاني الذي ظهر في بداية القرن الثامن عشر والمتمثل في وصول القوات النظامية المغربية إليها بقيادة مولاي إسماعيل لتفرض الضريبة على السكان⁴.

2.2 عوامل الإشعاع الحضاري للمدينة:

1.2.2 عين ماضي مركز للطريقة التجانية:

أ. التصوف؛ مفاهيم ودلالات:

إن التصوف⁵ الإسلامي سلوك إرادي ظاهري قلبي متواصل مستند إلى شريعة الإسلام، ودعامته الفضائل الخلقية الإسلامية له دوافع وحوافز ترجع إلى استعداد خاص لدى الفرد والهدف من هذا السلوك هو التقرب إلى الله، فالصوفي المسلم يحدد طريقته في السلوك بالرجوع إلى الإسلام وشريعته وآدابه، ولا يسلك سلوكا يخالف ما هو موجود في الشريعة قولا كان أم فعلا، ما يجعله يمارس الفضائل الخلقية⁶. وأصل "التصوف" هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والإنفراد عن الخلق، واختص الصوفية بلباس الصوف لأنهم خالفوا الناس في اللباس الفاخر، وصار علم التصوف في الملة مدونا بعد أن كان عبادة وأحكامها تُلقى عن طريق صدور الرجال⁷.

1 - الأغواطى - المصدر السابق - ص 88.

2 - محمد بن عبد القادر - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر - ج 1 - المطبعة التجارية عزوزي وجاويش - الإسكندرية - 1903 - ص 198.

3 - عبد الباقي مفتاح - أعضاء على الشيخ أحمد التجاني أتباعه - دار الكتب العلمية - بيروت - 2009 - ص 25.

4 - صالح عباد - الجزائر خلال الحكم التركي - 1415 - 1830 - دار هومة للنشر - الجزائر - 2012 - ص 175.

5 - تباينت آراء الباحثين في أصل لفظ التصوف نورد أهمها :

أ - المصطلح مشتق من الصوف، حيث كان لباس الزهاد في المجتمع الإسلامي، فقليل تصوف أي لبس الصوف.

ب - أصل الكلمة من الصفو أي صفاء النفس، ذلك أن تصفية النفس أحد مستلزمات التصوف للوصول إلى الغاية القصوى .

ج - إن التصوف نسبة لأهل الصفة (جماعة من المهاجرين كانوا يبيتون في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، يداومون على العبادة فُسمي الصوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة.

د - مصطلح التصوف مشتق من الصف الأول تمثلا بأولئك الذين يحرصون على الصلوات، لكن لو كان التصوف مشتق من الصف لقبيل صفي و ليس صوفي.

هـ - البعض يرى أن التصوف كان نسبة إلى "الصوفانة" و هي نبتة في الصحراء كان يقات عليها الزهاد، إلا أن علماء اللغة استبعدوا ذلك، وحسبهم في اللغة يقال صوفاني و ليس صوفي، غير أن أقرب التعريفات إلى الصحة هو الطرح القائل أن الأصل في التصوف يعود إلى الصوف من حيث الجانب المظهري للتصوف وهو علامة على الزهد، أما من حيث المضمون فمعنى التصوف من صفاء القلب، حيث أن صفاء القلب عنصر أساسي في التصوف . ينظر: - عزمي طه السيد أحمد- مدخل إلى التصوف الإسلامي - ط 1 - عالم الكتب الجديد للنشر والتوزيع - الأردن - 2015 - ص 15.

6 - المرجع نفسه - ص 22.

7 - عبد الرحمن ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - ج 1 - دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت - 2011 - ص 611.

وحسب الشيخ محمد الموسوم¹ الذي عرّف التصوف بأنه القيام بالواجبات الشرعية ومعرفة الله تعالى وشكره وترديد الشهادة كلما أمكن ذلك، كما أكد أنه من واجبات المتصوفة الابتعاد عن مغريات الحياة والحسد والعمل على إيجاد مكان هو بمثابة خلوة يمارس فيه عبادته ونشاطه الروحي، هذه الأعمال حسب الشيخ هي التي تثبت حقيقة الصوفي من غيره².

ب. شخصية سيدي أحمد التجاني:

هو أبو العباس أحمد بن محمد المكنى بابن عمر المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إسحاق بن علي زين العابدين بن أحمد بن محمد - الملقب بالنفوس الزكية - بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب³، أبوه العالم الشهير أبو عبد الله سيدي محمد بالفتح بن المختار، كان عالماً ومدرساً، أما أمه السيدة عائشة بنت أبو عبد الله سيدي محمد بالرفع ابن السنوسي التجاني المازوي، توفيت مع زوجها في يوم واحد⁴، ولد الشيخ أحمد التجاني سنة 1737م بقرية "عين ماضي" بنواحي الأغواط بالجنوب الجزائري، حفظ القرآن في سن مبكرة، مارس التعليم وسنه 16 سنة بعدها غادر عين ماضي متجه إلى "فاس" ولازم شيوخها وأخذ الطريقة الطيبية⁵، حيث التقى بالشيخ الطيب الوزاني وشيوخ القادرية والصدقية، ثم عاد بعد ذلك إلى تلمسان ومنها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وفي طريقه اتصل بالصوفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهرى وجالسه، ثم واصل الطريق إلى تونس وبعدها القاهرة ثم المدينة المنورة التي أخذ عن كبار علمائها، وبذلك أخذ الشيخ عن عدة طرق؛ الشاذلية والطيبية والرحمانية والناصرية، حيث أنه وبعد رجوعه للوطن أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري⁶، قصد قرية بوسمغون، سافر بعدها إلى "توات" ليعود إلى "بوسمغون" ووقع له الفتح العظيم، وبدأت تقصده الوفود ما خلق له مشاكل مع السلطة العثمانية، هاجر إلى فاس وبقي حتى توفي بها يوم الخميس 17 شوال 1230هـ الموافق لـ 22 سبتمبر 1815م، وخلف عديد المؤلفات منها: الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمديّة التجانية، جواهر الحقائق في شرح الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق والتعريف بحقيقة سيد الخلائق⁷.

أسس الشيخ أحمد التجاني الطريقة التجانية ولقب التجاني نسبة إلى قبيلة "بني توجين" التي استقرت "بعين ماضي"، وإن التجاني اتبع عدة طرق قبل أن يستقل بطريقته، فأخذ عن القادرية والطيبية والرحمانية وحتى الشاذلية فبعد أن تلقى العلوم الدينية والشرعية في المغرب الأقصى، رجع للجزائر وخلال إقامته بقرية "بوسمغون" جاءه الفتح الكبير وعمره 45 سنة، وحسب أتباع التجانية أن الشيخ جاءه الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وأذن له بتلقي الخلق فشيخه في التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث قصدته الوفود من مناطق عديدة وذاع صيته. وهكذا أخذ التجاني يعلم أتباعه قواعد الطريقة الجديدة وذكر خاص بها، وفرض على

¹ - هو الشيخ محمد بن أحمد الموسوم من قبيلة غريب ضواحي مليانة له عدة مؤلفات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، منها التحفة المختارة في ثواب الزيارة، أسس الزاوية الشاذلية بقصر البخاري. ينظر: - صلاح مؤيد العقبي - الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر - تاريخها ونشاطها - طبعة خاصة - دار البصائر - الجزائر - 2009 - ص 523.

² - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 4 - 1830 - 1954 - طبعة خاصة - عالم المعرفة - الجزائر - 2011 - ص 10.

³ - عبد الباقي مفتاح - المرجع السابق - ص 33.

⁴ - علي حزام بريدة - جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني - تع: عبد اللطيف عبد الرحمن - ج 1 - ط 1 - دار الكتب العربية - بيروت - 1997 - ص ص 23-28.

⁵ - عبد المنعم القاسمي الحسني - أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى - ط 1 - دار الخليل القاسمي - الجزائر - 2006 - ص 97.

⁶ - العقبي - المرجع السابق - ص 116.

⁷ - المرجع نفسه - ص 118.

الأتباع شرطاً وهو التخلي عن جميع الطرق السابقة لأنه وبموجب المنام قد تخلى عن الأوراد السابقة التي أخذها عن شيوخه السابقين¹. وبهذا فإن عودة الشيخ أحمد التجاني إلى عين ماضي، وتأسيسه الزاوية بها كان له الأثر البالغ على هذه المدينة التي أصبحت مع مرور الزمن من بين أهم الحواضر الصوفية بمنطقة جبال العمور عامة والأغواط خاصة.

2.2.2 احتضان السكان للطريقة التجانية:

أنشأ المتصوفة مؤسسات أصبحت تُعرف بالطرق²، وهي تنسب إلى المشايخ الذين أسسوها، فيقال طريقة فلان وهذه الطريقة تعتمد على مجموعة من الممارسات متمثلة في أذكار وطقوس وحركات، مع مرور الوقت أصبحت هذه الممارسات شعبية بعد أن كانت حكراً على مجموعة خاصة³. والطريقة (طريق) مُوصلة إلى النجاة وهي مجموعة من الشعارات والممارسات والأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى، وتسمى أيضاً "الورد" على أن الداخل في هذه الطريقة يأخذ عن "الشيخ"⁴ أو عن خليفته ورداً ويُصبح هذا الورد من تعاليم الطريقة، وبهذا فإن الطريقة أشبه بمدرسة يلتقي فيها مجموعة أفراد بعد أن ينتسبوا إليه، ويخضعوا لنظامها الدقيق في تربيتهم الروحية، ويكون ذلك بإشراف شيخ الطريقة المطاع من طرفهم، وتختلف الطرق في بعض المظاهر وأساليب التدريب والأوراد⁵. وتميزت التجانية بتعاليمها البسيطة ومذهبها الواضح إذ انتشرت في السودان الغربي⁶، وأهم أورادها:

أ. **الوظيفة:** وهي قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح، بعدها يتم الشروع في ذكر الوظيفة (استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين مائة مرة)، ثم ذكر الجوهرة وهي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى عشر مرة ومن لم يحفظها يأتي بها ليلاً عشرين مرة مع دعاء الفاتح، وتختتم الوظيفة بالآية الكريمة «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»⁷.

ب. **الورد المعلوم:** أن تستغفر الله مائة مرة، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتذكر لا اله الا الله مائة مرة، وتختتم بنفس الآية السابقة، أما الهيلة فهي أن تذكر مرة في الأسبوع يوم الجمعة ما بين العصر والمغرب: لا إله إلا الله من مائة إلى ألف وستمائة، وتختتم بدعاء الفاتحة⁸.

وللطريقة التجانية هيكل تنظيمي يبدأ بالخليفة العام للطريقة ثم المقادير ثم الأتباع وكذا الزوار، ولكل وظيفة، فالخليفة العام أو كما يعرف عند التجانيين بشيخ الطريقة أو شيخ الزاوية، فشيخ الطريقة أو الخليفة يعين ويبيع وتكون المبايع بمسجد الزاوية التجانية بعين ماضي

¹ - سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج4- ص 192 .

² - الطريقة مدرسة تربوية تقوم بتعليم المريدين السلوك العملي الموصل للحضرة الإلهية خلال مراحل متتالية، ولكل طريقة أسلوب في التربية وكتبها وأذكارها وأورادها وتنسب الطريقة إلى مؤسسها. ينظر: - عزمي طه - المرجع السابق- ص 186 .

³ - أبو القاسم سعد الله- على خطى المسلمين- حراك في التناقض- ط1- عالم المعرفة- الجزائر- 2009- ص192.

⁴ - هو لقب يطلق على مؤسس الطريقة الصوفية ومن يأتي بعده ، وهو المديبر الروحي والزمني لمجموعته، كما يُشترط فيه الصفات الأخلاقية والنفس العالية وله دراية بالشريعة الإسلامية وتختلف تسمياته من طريقة لأخرى. ينظر:- خير الدين شترة - قضايا التصوف ومظاهر الصوفية- أبحاث عن نزعة الإصلاح وبعض أعلامه بالجزائر- ج1- طبعة خاصة- دار الصديق للنشر والتوزيع-الجزائر- 2015- ص240.

⁵ - سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج4- ص 18 .

⁶ - عبد العزيز شهبي- الزوايا و الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر - دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر- 2007- ص139.

⁷ - القرآن الكريم- سورة الأحزاب- الآية56.

⁸ - محمد حوتية- الطرق الصوفية في إقليم توات- مقامات للنشر والتوزيع- الجزائر- 2013- ص48.

ومن يتعذر عليه الحضور يرسل مبايعة مكتوبة أو من ينوب عنه، وبموجب هذه المبايعة يتكلف الخليفة العام أمور كل المقاديم والأتباع والإشراف على جميع التجانيين، ويعمل المقاديم والمريدون والأتباع على استشارة الخليفة العام في كل أمورهم الاجتماعية أو التربوية، حيث يقوم بدور القاضي¹.

ونظرا لأن عين ماضي تمثل مسقط رأس التجاني وكذلك السيرة الحسنة والمكانة التي كان يتمتع بها فإن طريقته لقيت ترحيبا واستجابة واسعة في الأوساط الشعبية، حيث أقبل عليه أهل القرية لأخذ الورد، ومن الذين كان لهم دور بارز في نشر الطريقة التجانية بعين ماضي الشيخ بوحسون الماضوي، حيث بنى العديد من المنشآت للطريقة، إضافة إلى الشيخ محمد الهاشمي السريغيني ومحمد بن قويدر العبدلاوي²، الذي كان من أصحاب الشيخ سيد أحمد التجاني، واستطاع إقناع عشيرته البالغ عدد أفرادها الخمسين بالدخول إلى الطريقة التجانية، حيث قصدوا الشيخ حتى يأخذوا عنه الورد³، وكذلك الشيخ الحبيب بن أحمد بن علي والطاهر بن الزفراوي، كما ساهم الأغواطيون في الدعاية للطريقة ومنهم؛ الشيخ سليمان بن سعد الذي كان كاتباً لابن الشيخ التجاني محمد الحبيب والفقير أحمد بن إسماعيل⁴.

3.2.2 النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية:

الزاوية مفرد زوايا ومعناها انزوى أي انعزل إلى ركن في البناء، فيقال انزوى القوم بعضهم لبعض وتعني انعزلوا⁵، فالصوفي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد، فُنسب إليه الانزواء ولعل اسم الزاوية ظهر بعد أن شيد المشايخ خلوتهم فسمي المكان بالزاوية⁶. ويذكر الكثير من المؤرخين أن الزاوية كانت في الأصل رباطا⁷ تحول مع مرور الزمن إلى "زاوية"، فقد كانت على طول الساحل الجزائري أواخر القرن الثاني هجري، والتي اكتظت بالنخبة من رجال العلم والمعرفة من أجل العلم والجهاد، لكن بعد انقضاء الجهاد تحولت تلك الرباطات إلى زوايا⁸، فاقتزنت دلالة الرباط بالجهاد لقوله تعالى «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ»⁹. كما يذكر سعد الله أن الرباطات كانت قلاعاً من جهة، وزوايا من جهة أخرى، حيث كان الطلبة جنوداً وعلماء وبعد إبعاد الخطر انحسرت في الغرب الجزائري، نظراً لاستمرار الجهاد في الغرب دون الشرق الجزائري وكذلك حجاج ورحالة المغرب الأقصى كانوا يعبرون الجزائر وينشرون مبادئ زواياهم

1 - عبد القادر غلال-الاتصال السياحي الديني في الجزائر (الزاوية التجانية)- مجلة التراث- مج 1- ع 31- جامعة الجلفة- 2019- ص 50.

2 - شيخ لعرج- فغور دحو- انتشار الطريقة التجانية في بابل الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة- مجلة الحضارة الإسلامية- ع 29- جامعة وهران- 2016- ص 616.

3 - أحمد بن الحاج العياشي سكيرج- كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب- دار الأمان- الرباط- 1962- ص 197.

4 - عبد الباقي مفتاح- المرجع السابق- ص 18.

5 - محمد بن المكرم ابن منظور- لسان العرب- مادة انزوى- ج 6 - دار الأبحاث- الجزائر- 2008- ص 109.

6 - الغالي بن لباد- الزوايا في الغرب الجزائري، التجانية، العلوية، القادرية- رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجيا- كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية - جامعة تلمسان - 2008- 2009، ص 29.

7 - دلالة على مرابط الخيل، وملازمة ثغر العدو والأصل فيه لزوم الثغور للجهاد ومقاتلة العدو. ينظر:- ابن منظور- المرجع السابق- مادة رضى- ج 4- ص 108.

8 - العقبي- المرجع السابق- ص 218.

9 - القرآن الكريم- سورة الأنفال- الآية 60.

وشيوخهم¹. والزواية تحتوي عادة على "مصلى" و"مدرسة لتحفيظ القرآن"، كما تضم "غرف" أو "مراقد" لإيواء الطلبة والضيوف ويلحق بها "ضريح الولي الصالح" غالبا ما يكون هو المؤسس أو أحد المرابطين المشهورين².

أما عن مصادر تمويل الزوايا فهي عائدات الأوقاف كالأراضي والعقارات، إضافة إلى حق الزيارات التي يأتي بها الزائر من عطية أو هبة وقد تكون في شكل ألبسة أو أغذية، وكذلك ما يُحصله "الوكلاء" باسم الطريقة وفي مواسم، حيث يذهب هؤلاء بأمر من الشيخ لتحصيل المستحقات على الإخوان والأتباع³، فبعد أن أعلن الشيخ التجاني ميلاد طريقته ببوسمغون، اتجه إلى مسقط رأسه "عين ماضي"، التي أصبحت مركز للطريقة التجانية، وأنشأ بها الزاوية التي كانت لها نشاطات مختلفة:

أ. التربية والتعليم: حيث كانت الزاوية تحتوي على غرف لتحفيظ القرآن الكريم وتدرّس العلوم الشرعية، وأهم عامل ساعد على هذا النشاط التربوي الهام للتجانية، كون معظم شيوخها ومقدميها من المثقفين، حيث تذكر بعض المصادر أن الشيخ محمد الصغير التجاني ابن مؤسس الطريقة كان يدرس الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف في زاوية عين ماضي، إضافة إلى أن جل علماء التجانية ساهموا في تأليف كتب بالغة الأهمية⁴.

ب. نسخ المخطوطات: عرف عن الزوايا اهتمامها بالمخطوطات من منطلق أهميتها التاريخية والثقافية، حيث أنها ملهمة لانتشار الثقافة العربية الإسلامية، حيث عرفت زاوية عين ماضي عملية نسخ متواصل للمخطوطات، وتؤكد بعض المصادر أن العثمانيين أخذوا منها خلال حملاتهم 60 بغيراً من الكتب، وهذا يدل على الأهمية الثقافية لهذه الزاوية⁵.

كانت للزوايا وظائف علمية وثقافية تضاف إلى المهام الدينية والاجتماعية التي كانت منوطة بها، حيث عملت الزاوية التجانية بعين ماضي على استقبال أهل العلم والطلبة من كل مكان، خاصة مريدي الطريقة التجانية، الأمر الذي أعطى البعد الثقافي والديني لمدينة عين ماضي، واكسبها مكانة خاصة.

2.2. 4 تأثيرات ركب الحج:

إن ركب الحج عبارة عن مدينة متنقلة بنظام، حيث يشرف على سيرها وراحتها "أمير الركب" وبجانبه الإمام والقاضي ويتحرك الجميع بامتعتهم على الإبل⁶، وخلال العهد العثماني ضم ركب الحج الجزائري تركيبة متنوعة، إضافة إلى ما ذكر، العلماء والأعيان والمصاحبين لهم، وشخصيات وضيوف تنضم له في الطريق وفي المحطات التي يتوقف بها، وكذلك مجموعة من الموظفين كدليل الركب، كما سجلت المرأة حضورها في الركب⁷، وشكلت طريق الهضاب بالجزائر إحدى أهم الطرق التي كان يسلكها الركب، والتي تتوفر على المراعي والكأ الوفير، تبدأ من العوينة (القنادسة)، ببوسمغون، الغاسول، عين ماضي، تجموت، الأغواط، العسافية، سيدي خالد، أولاد جلال، طولقة، بسكرة،

¹ - سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - 1500 - 1830 - ج1 - طبعة خاصة - عالم المعرفة - الجزائر - 2011 - ص272.

² - شهري - المرجع السابق - ص14.

³ - سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج4 - ص284.

⁴ - شيخ لعرج - المرجع السابق - ص610.

⁵ - المرجع نفسه، ص619.

⁶ - مولاي بلحميسي - الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص26.

⁷ - أحمد بوسعيد - كـب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830 - دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية - أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة أدرار - 2017-2018 - ص124.

سيدي عقبة، واد غسران، وصولاً إلى الشبيكة، التي تمثل مدخل البلاد التونسية¹، حيث إن العلاقات بين الحجاج والسكان كانت أخوية، ففي كثير من الأحيان يبادر سكان القرية أو المدينة بإطعام الضيوف وإكرامهم، وفتح الحديث معهم في المسائل الفقهية أو الدينية². ساهمت أركب الحج العابرة لعين ماضي في إشعاعها الحضاري والصوفي نظراً لتشكيلة الركب التي كانت تضم شخصيات دينية وعلماء، ففي فترة استراحة القافلة يحدث تواصل فكري بين السكان والحجيج، وهذا كان له تأثير إيجابي، حيث يذكر الدرعي في الرحلة الناصرية أن سكان عين ماضي كانوا يعكفون على قراءة الفقه، وكانوا أهل محبة، غير أنهم لا يبالون بالحجاب، فتحدث أهل الركب معهم وأعطوا وجهة النظر الفقهية بهذا الشأن، وكذلك مسألة أخرى، وهي أن نسائهم لا يغتسلن من الحيض والنفاس خوفاً على أرحامهن³، وهذا يدل على أن ركب الحج كانت له العديد من الجوانب المفيدة للمدن، التي يزورها خاصة في الميدان العلمي والفكري.

وهكذا أصبحت عين ماضي حاضرة تستقطب أهل العلم والتصوف والطلبة من كل المناطق، ونذكر منهم على سبيل المثال: كاتبين مغربيين معروفين؛ العياشي الذي زارها حوالي سنة 1640م واشتغل فيها بالقضاء، و مولاي أحمد الذي قصد عين ماضي في 1719م، وكان إماماً⁴. وأكد الدرعي على أن جل سكان عين ماضي يهتمون بقراءة الفقه، وخلال استراحتهم بها في رحلة الحج وجدوا العديد من الفقهاء منهم، سيدي أبو حفص، سيدي محمد بن موسى، وسيدي عبد الرحمن بن دلس⁵، كما أن أبا سالم العياشي في رحلته للحج التي كانت ضمن الركب السجلماسي، وأثناء العودة ذكر بأن الركب وبعد خروجه من الأغواط حدث خلاف بشأن خوض طريق عين ماضي أم لا، واتفقت الأغلبية على عدم الولوج إلى عين ماضي، هذا ما جعل العياشي يتأسف لأنه كان يريد زيارة المدينة لبيع الكتب ولقاء الأصحاب، وهذا يدل على أن عين ماضي كانت حاضرة تباع فيها الكتب وتعد فيها الجلسات العلمية⁶، وذكر الدرعي حرص أهل العلم بعين ماضي على استنساخ الكتب حيث طلبوا منه كتاب الغنيمة من أجل نسخه والاستفادة منه فترك لهم الكتاب⁷.

3. حملات السلطة العثمانية على عين ماضي:

إذا كانت المرحلة الأولى من بداية الحكم العثماني في الجزائر تميزت بدعم الطرق الصوفية ورجال الزوايا، نظراً لأن الفكر الصوفي شكل دعامة أساسية للحكم العثماني، كما أن استمرار مسألة الجهاد، خاصة في بايلك الغرب، شكل أحد أهم دوافع التحالف بين السلطة ورجال التصوف، لكن خلال القرن الثامن عشر تغيرت الأوضاع سواء داخلياً أو خارجياً، فقد تراجعت عائدات الدولة الجزائرية بعد تقلص نشاط الأسطول البحري الجزائري، ما جعل السلطة تفكر في البحث عن بديل للعائدات واهتدت للضرائب التي أثقلت بها السكان، وجعل العلاقات تتوتر بين الرعية والسلطة، وأمام التزايد الرهيب لنفوذ رجال الزوايا، فكرت السلطة في الحد من ذلك بشتى الطرق

¹ - أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي - الرحلة الناصرية - 1709-1710م - تح: عبد الحفيظ ملوكي - ط1 - دار السويدي - أبوضي - الإمارات - 2011 - صص 127-160.

² - بالحيمسي - المرجع السابق - ص26.

³ - الدرعي - المصدر السابق - ص131.

⁴ - Louis Rinn-marabouts et khouan - étude sur l'islam en Algérie Adolph Jourdan libraire éditeur-1884-p416.

⁵ - الدرعي - المصدر السابق - ص13.

⁶ - عبد الله بن محمد العياشي - الرحلة العياشية 1661-1663 - تحق: سعيد الفاضلي - سليمان القرشي - ط1 - دار السويدي - أبوضي - الإمارات - 2006 - ص546.

⁷ - الدرعي - المصدر السابق - ص131.

والوسائل. وقد تزامنت دعوة التجاني في الوقت الذي بدأ فيه العثمانيون يتوجسون خيفة من نشاط الطرق الصوفية، خاصة بعد ظهور الطريقة الطيبية في المغرب وعلاقتها السياسية بالحكم، وكذلك الطريقة الدرقاوية وامتداد نشاط الطريقتين إلى الجزائر وتردد التجاني بين فاس وتلمسان والصحراء، هذا ما أثار مخاوف العثمانيين في الجزائر، فحاولوا وقف نشاط الطريقتين، وعملوا على ضم الأغواط وعين ماضي إلى بايلك الغرب¹.

1.3 حملة الباي محمد الكبير² 1784م:

قام الباي محمد الكبير بحملة عسكرية على عين ماضي مركز الطريقة التجانية، حيث فرض على سكانها ضريبة سنوية قدرت بـ 188 ريالاً³، إذ سمع الباي أن بني الأغواط بالصحراء لا يمتثلون لطاعته، جهز حملة وخرج إليهم في 09 ربيع الأول 1199هـ (1784م)⁴، فبعد أن رأى سكان عين ماضي وصول جيش المحلة بقيادة الباي محمد الكبير، خرجوا مع نسائهم وأبنائهم وعلمائهم، فلما رأى الباي ذلك أمر بوقف النساء في مكان بعيد وأذن للعلماء بالاقتراب، الذين طلبوا منه أن يرفق بهم، ويعفو عنهم فقام بفرض ضريبة أقل من الأولى، ويصف ابن هطال التلمساني ذلك بقوله: «ثم أصبح مرتحلاً قاصداً عين ماضي، فوصلها في ثلاث ساعات، فلما رأى أهلها خيله قد طلعت وبنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم، وغلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرخون، وبالطاعة وطلب الشريعة معلنون، فنزلت المحلة بقرب السور بنحو المائة ذراع... ثم إن أهل المدينة مكثوا ساعة، لا يرى شخصهم ولا يتبين خبرهم»⁵، بعدها شرع سكان عين ماضي في دفع ما افترض عليهم والمتمثلة في 100 عبد و350 بغير و5000 بوجو وأربعة أحصنة⁶.

2.3 حملة عثمان باي⁷ ابن محمد الكبير 1787م:

وجه عثمان باي حملته على عين ماضي، حيث طالب سكانها بدفع الضريبة التي فرضها أبوه على المدينة، وبسبب الضغوطات التي تعرض لها أحمد التجاني هاجر إلى مدينة فاس رفقة ابنه محمد الكبير، ولقي استقبالا حارا في فاس من طرف مولاي سليمان الذي منحه قصرا سمي بقصر المرايا ليقيم فيه وعائلته، كان يقدم دروسا في فاس عكف على شرحها تلميذه سي محمد بالمشري، الذي عاد إلى الأغواط ثم عين ماضي⁸، وعلى الرغم من الحملات التي قام بها بايات وهران على المدينة إلا أن الخضوع لم يدم طويلا، وعجزت السلطة العثمانية على القضاء على أحمد التجاني، حيث تضاعف عدد الأتباع وذاع صيت الطريقة والمدينة، لذلك سعى البايات من أجل تشديد الخناق

¹ - سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج 1- ص 512.

² - الباي محمد بن عثمان الكردي، من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها أواخر القرن الثامن عشر، حكم بايلك الغرب من سنة 1779 إلى 1797م، تميز عن بقية البايات بمشروعه الحضاري واهتمامه بالتأليف والنسخ. ينظر: - بلراوات بن عتو- الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري- 1779-1797م- ط 1- دار كوكب العلوم-الجزائر- 2016- ص 93.

³ - Louis Rinn -Op.cit- p420.

⁴ - ابن سحنون الراشدي- الفجر الجماني في ابتسام الفجر الوهراني- تح: المهدي البوعبدلي- ط 1- عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الجزائر- 2013- ص 146.

⁵ - أحمد بن هطال التلمساني- رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785- تح: محمد بن عبد الكريم- ط 1- دار السويدي للنشر والتوزيع- الإمارات- 2004- ص 68.

⁶ - المصدر نفسه- ص 70.

⁷ - عثمان بن محمد بن عثمان إبراهيم تولى الحكم بعد وفاة والده، حكم ثلاث سنوات فقط، كان مخالفا لوالده في السيرة، حيث عرف عنه التقصير في المسؤولية والتركيز على اللهو والترف ما استدعى عزله. ينظر: - محمد بن يوسف الزباني- دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تق: المهدي بوعبدلي- طبعة خاصة- دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع- الجزائر- 2013- ص 271.

⁸ - عباد- المرجع السابق- ص 176.

عليها وإرهاق سكانها بالضرائب، وحتى وإن هاجر التجاني إلى مدينة فاس إلا إنه طلب من سكان عين ماضي عدم الخروج على السلطة، وأمرهم بدفع الضريبة التي ألزمهم بها الباي، فقد ورد في الرسالة التي بعث بها لسكان عين ماضي ما يلي: «وأما أمر الباي معكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد لولده إذا كنتم تراعون نصيحتي، فسيروا إليه في بلاده وأعطوه ما تقدرون عليه من المال، ولا تقاتلوه فإنكم لا خير لكم في قتاله، فإياكم أن تخالفوه وتقاتلوه... ولا تدبروا إلا في الصلح بينكم وبين الباي»¹. ومن خلال هذه الرسالة يمكن الحديث على أن الشيخ أحمد التجاني كان يرفض مواجهة العثمانيين، وساهمت هذه الرسالة في تحسين العلاقات بين سكان عين ماضي والسلطة العثمانية، واستمر هذا الأمر حتى وفاة الشيخ أحمد التجاني.

إن تعدد الحملات من طرف السلطة العثمانية على عين ماضي سواء بايات بايلك الغرب أو الشرق وحتى التيطري دليل على توتر العلاقات بين سكان المدينة والسلطة من جهة، ومن جهة أخرى مكانة عين ماضي في إستراتيجية العثمانيين، خاصة أنها تتمتع بموقع جغرافي وملتقى الطرق التجارية.

● خاتمة:

وختاما لما ذكر خالصنا إلى النتائج التالية:

- شكلت الفترة العثمانية في الجزائر مرحلة ازدهرت فيها الحركة الصوفية ونشطت الزوايا، وبرزت عديد الحواضر الصوفية في جميع جهات البلاد، هذه الحواضر التي شكلت محطات للتواصل.
- تعتبر منطقة الأغواط من المناطق التي شهدت حركة وديناميكية بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث شهدت عدة أحداث لأنها كانت محل نزاع بين الجزائر وملوك المغرب الأقصى.
- لقد توفرت مجموعة من العوامل التي ساهمت في تكوين حاضرة عين ماضي الصوفية خلال القرن الثامن عشر؛ الأول يتمثل في موقع المدينة خاصة بالنسبة لطريق الحجيج (ركب الحج)، هذا الأمر الذي استفادت منه كثيراً عين ماضي، لأن الركب كان يتشكل من مختلف أطراف المجتمع خاصة فئة العلماء والرحالة والفقهاء، والثاني شخصية سيدي أحمد التجاني، حيث تمثل عين ماضي مسقط رأسه، واتخذها قاعدة لنشر طريقته الصوفية الجديدة، ما جعل المريدين يقبلون على عين ماضي من مختلف المناطق لأخذ الورد والانتماء للطريقة، فالتجاني هو من بين أبناء المدينة الذين أكسبوا شهرة، وخاصة لما أصبحت مركز الطريقة التجانية، والثالث ترحيب سكان عين ماضي بالتجانية والعمل على نشرها، وظهرت الزاوية التجانية التي تجلّى إشعاعها الحضاري على المدينة، وذلك من خلال استقبال الكثير من طلبة العلم، وانتعشت الحركة الثقافية وبيع ونسخ الكتب بعين ماضي، وأصبحت قبلة العلماء ورجال التصوف.
- إن شهرة عين ماضي جعلتها محط أنظار السلطة العثمانية، حيث انتشرت الطريقة التجانية خلال القرن الثامن عشر، هذه المرحلة التي شهدت فتوراً بين رجال الطرق الصوفية وحكام الجزائر خلال العهد العثماني، الأمر الذي جعل مدينة عين ماضي تتعرض لحملات من

¹ - حمي عبد الحفيظ- الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية-1196-1242هـ-1782-1826م- مجلة آفاق فكرية- مج4- عدد خاص- جامعة سيدي بلعباس- 2018- ص45.

أجل إخضاع سكانها وللحد من انتشار الطريقة التجانية، رغم أن سكان المدينة أثبتوا مقاومة مستميتة تجاه الجيوش العثمانية التي كانت تهاجم المدينة.

- ساهمت عين ماضي في نشر الفكر الصوفي بمنطقة جبال العمور، من خلال الخطاب الديني المعتدل لشيخ الطريقة ومقدميها، فالخطاب التجاني استطاع أن يحظى بمكانة هامة في الأوساط الشعبية، وانتشرت الطريقة التجانية حتى خارج الجزائر العثمانية.